



النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٤٣/١٩٩٧

الأحد ٢٦ تشرين الأول

القديس العظيم في الشهداء

ديميتريوس المفيض الطيب

اللحن الثاني

إنجيل السحر الثامن

الرسالة (٢ تيموثاوس ٢ : ١ - ١٠)

الإنجيل (لوقا ٨ : ٢٧ - ٣٩)

* الوصايا العشر

الوصية العاشرة (تابع)

”لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً

مما لقريبك“. (خروج ٢٠ : ١٧)

فوضى الرغبات الغرائزية

”حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً“ (متى ٦ : ٢١) . إن عالم الرغبات

الغرائزية عالم فوضوي لأن الإنسان متى يدخله يصير عبداً لشهواته الفاسدة ، أي عابد وثن

يؤلّه تلك الرغبات ساعياً وراء إشباعها جاعلاً منها هدفاً و مبتغى.

ان الرغبة المفرطة في مقتنيات الآخر والعمل على الحصول عليها بأية وسيلة كانت ، لا تؤدي فقط الى انتقاص العدالة ، لكنها ايضاً تستعبد صاحب الرغبة لأنه متى حققها سرعان ما ينتابه الشعور بالمرارة عارفاً أن ما ناله لا يطفى عطشه إلى اللامحدود . وحتى لا يتفاقم شعوره بمرارة الفراغ يسعى الى تكرار تجربته لإقتناء أشياء أخرى تلزمه دوامة الفراغ . إشباع الرغبات ركض نحو السراب لا يهدأ ، والرغبة بمقتنى القريب تقود دائماً إلى الحزن بعدم الإمتلاك ،إنسان كهذا يعتقد أن السيطرة على كل الناس وامتلاك كل شيء حق من حقوقه .الإنسان منفر على العطش الى اللامتاهي الى المطلق . واقتناء ثروات الدنيا كلها لا يطفى هذا الظمأ.

وحده من يسعى الى العيش في الحضرة الإلهية يستكين ويهدأ قلبه لا بل انه يحيا في الرضى . ألم يدخل الشيطان الموت الى المعالم بسبب شهوة الجدين الأولين حين خدعا إذ ”رأت المرأة ان الشجرة جيدة للأكل وإنها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر“ (تك ٣: ٦) الخطيئة الأولى لم تكن الأكل بل كانت إشباع شهوة العين وإطفاء لرغبات النظر . والشهوة تولد الحسد والحقد وتسعى وراء إزاحة من يملك شيئاً للاستيلاء على ما يقتنيه . الخطيئة في هذه الحال لا تتحقق عندما تستولي على ما للقريب ولكنها تبدأ عندما ترغب عيوننا وتحلم أفكارنا بأن نجعل لنا ما ليس لنا .

من يشتهي ما لقريبه يجد في تحقيق رغبته شيئاً من الراحة والطمأنينة لأنه يتوهم انه يصبح أقوى وأقدر على مواجهة الأخطار والصعوبات ولكن سرعان ما تتبدد أوهامه بالطمأنينة لأنه يكتشف ان ما حصل عليه سراب لا يفي بالغرض المطلوب . الطمأنينة والهدوء عطايا الى القلب الإلهي . ”طوبى للجياع و العطاش الى البر لأنهم يشبعون “ (متى ٥ - ٦).

من يركز نظره على الرب المصلوب القائم يتعلم ان يلقي عليه كل رجاء . يصبح الرب وحده الملاذ والطمأنينة الحقيقية ”تعالوا الي أيها المتعبون والتقيوا الأحمال وأنا أريحكم“ . من يشتهي مادية الأمور قابع في الحزن ، ”الويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزائكم . ويل لكم أيها الشبايعي لأنكم ستجوعون “ (لو: ٦ : ٢٤ - ٢٥) . ولكن من اعتمد يعرف انه بلبسه المسيح مقيم في الفرحة الفصحى وبهاء السرور .

أمثلة الإنجيل عن الأشخاص المتعلقين بالشهوات كثيرة ولكن طوبى للذين يشتهون ان يعاينوا مجد الله هؤلاء تعطى لهم نعمة فوق نعمة . لأن ”الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات“ . (غلا ٥ : ٢٤)

إن الوعد الذي أعطينا بمعاناة مجد الله ، متى تحقق ، يفوق كل غبطة وسعادة. فالذين يعاينون مجد الله يحصلون عليه ”فإن كنتم لا تقدرون ولا على الأصغر فلماذا تهتمون بالبواقي“ (لو ١٢ : ٢٦). فلا تطلبوا انتم ما تأكلون وما تشربون ولا تعلقوا فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم وأما انتم فأبوكم يعلم انكم تحتاجون الى هذه بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزداد لكم“ (لو ١٢ : ٢٩ - ٣١).

العطش الى الله لا ترويه الا مياه الحياة الأبدية.

* حول الصمت

”كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟ فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرج الشرور. ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تتبرّر وبكلامك تُدان“ (متى ١٢ : ٣٣ - ٣٧).

غالباً ما أسكتني هذا التحذير الذي وجهه المخلص. فهو يجعلني أتجنب ما يُشابه الثرثرة والنميمة. وعندما يُطلب مني ان أتكلم فإنني أصلي الى الرب لكي يعطيني قلباً حتى يتكلم فيّ الروح القدس.

إن الهدوء (الإنسان الساعي الى الهدوء الداخلي والسلام بتركيزه على صلاة يسوع التي يتلوها بشكل مستمر) إنسان صامت، وليس هناك غير المحبة الصامتة التي تُجيد الكلام عن الرب. والصمت شرط الصلاة الجيدة ، كما انه ثمرة الصلاة: فكلماً صليت كلما زاد الصمت في داخلك.

إن آباءنا الروحيين هم من كبار الصامتين، وإلا فكيف يمكنهم ان يستمعوا إلينا عندما نخبرهم عن شقائنا؟ إن صمت أبينا الروحي هو صمت الرب، هو أذنه عندما يستمع إلينا. هناك صمت القبور وهناك من ناحية أخرى صمت الخزي. أما نحن، فالفقد ”آمننا ولذلك تكلمنا“. إن صمت الهدوء هو بأهمية الحب الذي يسكن فيه. ”ان الحديث عن الرب جيد، وكذلك الصمت من أجله“، وقد ندر الذين تذوقوا طعم الصمت الحقيقي الذي من دونه لا سبيل للإتحاد مع الله. أما الذي تذوقه فهو يطلبه للانقطاع. والله يعلم كم تبعدنا الكلمات البطالة والهذيان عن حضرته.

هناك من يحافظون على صمت شفائهم، ولكن ما النفع اذا تركوا العنان لخيالهم وأدانوا إخوتهم في قلوبهم؟ وبالعكس فهناك الذين يتكلمون من الصباح الى المساء ولكنهم

يحافظون على صمت قلوبهم أمام الرب: إنهم يتكلمون لأجل منفعة القريب، ويكتسبون السلام الداخلي بفضل محبتهم وقطع مشيئتهم.

إذا كنت تطلب الصمت فلا تلقِ علينا الخطابات الطويلة حول جماله، وفائدته، ولا داعي للذهاب الى الصحراء ، بل يكفي التوقف عن الكلام. وإذا نزعنا من فمك كل كلمة باطلة وكل إدانة لإخوتك، وإذا لم تتكلم عن الأمور التي تجهلها، فإنك ستصبح بسرعة صامتاً كبيراً.

+ المحافظة على صمت الروح:

يقول القديس يعقوب: ”ان كان أحد لا يعثر في الكلام، فذاك رجل كامل“ (٣: ٢) كما يشير الى الصعوبة التي نواجهها في ترويض لساننا: ”انه شرٌّ لا يُضبط مملوء سمّاً مميّناً، به نبارك الله الأب وبه نلعن الناس الذين قد تكوّنوا على شبه الله“ (٣: ٨ - ٩). وليس على الراهب ان يصمت بشفتيه فقط، بل ان يحافظ ايضاً على صمت الروح، اي ان لا يدين أحداً، وهكذا يأتيه السلام ويدخل حتى أعضائه، فيختبر عندها صمتاً أكثر ارتقاء هو ليس فقط غياب الكلام والأفكار والإدانات ، انه حضور الله. ان جميع جهادات الراهب تقوده نحو صمت أكثر عمقاً: انه صمت الشفتين وصمت الروح وصمت القلب. وكل نوع منها يتطلب سيطرة خاصة. فصمت الشفتين يتعلق بإرادتنا، وصمت الروح يتعلق بتركيزنا في الصلاة، اما صمت القلب فإنه هبة من الله. لقد كانت مريم كائننا من الصمت، وقد تجسد منها الكلمة. فإذا أردت ان يعيش المسح فيك، ابحث عن المكان الذي يريحه. بكلمة أخرى: حافظ على الصمت.

+ الإستماع الى صمت يسوع:

إن الكلمة قد خرج من الصمت وعاد اليه . ونحن اذا ما تكلمنا وكانت كلمتنا صادرة بالفعل من صمت الله، فإننا نقود الناس نحو هذا الصمت عينه. لقد استمع بعض الناس الى كلمات يسوع، لكن قلة نادرة استمعت الى صمته. أنصت، احفظ نفسك في الصمت، والصمت سيحفظك بقرب الرب. ان الراهب لا يحب العزلة والصمت لذاتهما، بل لأنه يجد فيهما الرب. ان الثرثارين لا يَرثون ملكوت الله، اذا كيف يسمعون نداء الرب الذي يريد ان يأخذهم الى الصحراء ليحدثهم حديث القلب في الصمت؟

عند القديس ذيادوخس اسقف فوتيكي (منتصف القرن الخامس) وردت صورة جميلة تدل على ان حفظ الصمت هو عمل على درجة كبيرة من الأهمية لأنه يقودنا الى الإتحاد بالله: ”إذا فتحنا باب الحمام، فإنه يفقد حرارته بسرعة: هكذا عندما تريد النفس ان تتكلم بكثرة - حتى ولو لم تقل غير الكلام الجيد - فإنها تبدد ذاكرتها بسرعة، وتفقد ذكر الرب. إنها تتبخر الى الخارج نم ذاك الباب الذي يخرج منه لكلام الكثير“. فالصمت هو أب جميع الأفكار الجيدة.

+ السكوت قبل التكلّم:

لقد صمت يسوع طوال ثلاثين سنة قبل ان يتكلم. وحتى عندما تكلم فإنه لم يقل سوى عبارات قصيرة. لم يصلنا منه أي خطاب، ولم يعرض أي نظام فلسفي. لقد أتت كلمته من لصمت، وكانت مستوحاة من المحبة، لذا كانت كل كلماته، كلمات خلاصية. واليوم، قبل إرسال الواعظين للتبشير، علينا ان نعلمهم السكوت كي لا يكونوا مثل الصنوج التي ترنّ. فالسكوت هو بداية الإنتباه. والصامتون هم من أكبر المنتبهين، وهكذا لا يبتعدون عن الرب أبداً.

لا تُسرّع في التكلّم الى الآخرين بحجة التأثير فيهم بالعبارات الجيدة. تذكر الأب بامبو Pambo (من آباء البرية ولد سنة ٣٠٣ وتوفي سنة ٣٧٣) الذي طلب اليه ان يوجّه كلمة الى بطريك الإسكندرية لأجل منفعته الروحية فأجاب: ”إذا لم يكتسب منفعة من صمتي فإن خطاباتي لن تنفعه بشيء“.

وهناك قاعدة عامة بالنسبة الى الراهب وهي ألا يخرج عن صمته الا عندما يؤمّر بذلك، او عندما تكون الكلمة فيه كالنار التي لا يستطيع ضبطها. طبعاً يُفترض التمييز بين النار التي دفعت أرميا الى التنبوء ونار الأهواء والتطرف.

أعمل على الا يكون صمتك حاجزاً أمام محبتك للقريب. اقتن التمييز وأظهر وجهها فرحاً وليكن كلامك محبباً، فكثيرون، من خلال كلامهم، يفتشون عن مجدهم الشخصي. وإذا سكت فسيقولون عنك انك لا تساوي شيئاً. ان القلب الصامت والشفيتين المغلقتين موهبة يمنحك إياها الرب حتى تكتسب التواضع.

ان الكلمة هي وليدة الزمن، اما الصمت فينتمي الى الأبدية. أحبب الصمت لأنك من خلاله، تدخل الى العالم الآتي.

(مترجمة)